ألفريدي يلينيك...

و البورنوغرافيا

«اخـترت الكتابـة لأنَّهـا الـشيء الوحيـد الـذي لم تُحرِّضنـي والـدتي عليـه «مقولـة الكاتبـة النمسـاوية «ألفريـدي يلينيـك» التـي عاشـت طفولـة صعبـة مُستسِـلمة لسُـلطة أمِّهـا و إجبارهـا عـلى تعلُّـم الموسـيقى في سِـن مُبكّـرة لتجعـل منهـا عبقريـة موسـيقيَّة. فتعلّمَـتْ العـزف عـلى كل الآلات الموسـيقية رغـمًا عنهـا لدرجـة إصابتهـا بتشـوُّه نفـسي بعـد أن تمـرَّدَتْ عـلى هـذا الوضـع و اتَّجهَـتْ إلى الكتابـة، تلـك هـي المؤلفـة و الروائيـة النمسـاوية «ألفريـدي يلينيـك» المولـودة بتاريـخ عشريـن مـن تشريـن الثـاني عـام ١٩٤٦ في مقاطعـة «ميورزيشـلا» جنـوب النمسـا مـن أب يهـودي الأصـل عـالم كيميـاء و أم كاثوليكيـة مـن الطبقـة البرجوازيـة سـلفية مجريـة.

«الفريدي يلينيك» من المدافعات عن حقوق المرأة بلا هوادة ضد السُلطة الذكورية و مناضلة سياسية معارضة هاجمت أمريكا في حربها على العراق في كتابها «عالم بامبي» الصادر في ٢٠٠٣. كتبتْ الشعر و الرواية و المسرح بحُكم دراستها للتأليف المسرحي في معهد فيينا، نشرت أوَّل أعمالها الإبداعية عام ١٩٦٧ و كانت مُنتسبة للحزب الشيوعي النمساوي. عاشت غير مرغوب فيها في بلدها، فكتبها لا تُباع في المكتبات، و كلّ مَرَّة يصدر لها عمل يُقابَل بموجة من الاحتجاجات، فما السر وراء ذلك؟

كتابها «شبق» وهو عبارة عن بورنوغرافيا أنثوية أرادت من خلاله الكاتبة قلب معادلة الشهوة الجنسية المُهيمنة من طرَفِ الرجال، و هي بورنوغرافيا أدبية و ليست تجارية على حسب قولها، و تقول: « إنَّها مُنيَتْ بفشل ذريع في ذلك» و ترى أنَّ تلك السُلطة من صنع الرجل و ليست المرأة. و من خلال ذلك حاولت الكاتبة إبراز نكرانها لسُلطة الممارسة من طرف الجنس الذكوري وَحْدَه و اشمئزازها من النساء اللواتي يشبه سلوكهن سلوك النعجة التي تلتصق بالذئب.

و الأدب البورنوغرافي هو على حدِّ قولها: « إنَّها تتفاعل مع غرائزها في العملية الكتابية» فالنبض المُحرِّض على الكتابة عندها خاضع لليبيدو وتقول «عندما أكتب أجد نفسي في حالة رغبة جنسية لأنَّ الكتابة تتطلب شهوة لكي يقذف الدماغ حتى لا ينفجر و الرَجُل هو الذي يبث هذا الدفع الإيروتيكي» و تضيف قائلة: «أنا لا أقول أن تقوم المرأة بدور الرَجُل ولا أن تكون عَدُوَّة له، لكن أريد أن تجد كل امرأة قوَّتها و سُلطتها بداخلها.»

مواضيع كثيرة عالجتها الفريدي في كتاباتها مِثل سكوت النساء على الظلم المُمارَس من طرَفِ الرَجُل، و تدهور القيم الأخلاقية، و الحروب و مآسيها، و المحسوبية، و التمييز الجنسي، و تتحسَّر «يلينيك» على أنَّ الكتابة الإبداعية لا تُحقّق الغاية المُبتغاة منها، بل الأدب عاجز عن تغيير المجتمع، لذلك طغى على أسلوبها السخرية و التهكم لتبيان الهُوَّة الشاسعة بين الواقع و الخيال.

و الكاتبة واحدة من شخوص رواياتها، و حاضرة في جل أعمالها الأدبية، نجدها في «عازفة البيانو» و حتى في «أبناء الموتى» و تقول عن هذه الرواية: « إنَّها أهمُّ ما كتبتُ، و هي ذروة أعمالي قلتُ فيها ما يجب أن يُقال عن الأساليب الملتوية التي انتهجتها الحكومة النمساوية حيال التاريخ، أنا دائمًا واقفة أمام المُستضعَفين».

تُوِّجَتْ بجائزة نوبل للآداب عام ٢٠٠٤ عن جل أعمالها، منها»عازفة البيانو» «العاشقات» « المستبعدون»التي تتسم بالسوداوية، و موضوعاتها حساسة و صعبة في لغة مُعقَّدة و جُمَل بسيطة، و تقول الأكاديمية الملكية إنَّ الجائزة مُنِحَتْ لها عن رواياتها و مسرحياتها، من فيض موسيقى من الأصوات و الأصوات المضادة التي تكشف بشغف لغوي عبثيَّة المُسَلّمات الاجتماعية و سُلطة تلك المُسَلّمات، و ما لها من نفوذ طاغٍ على حياة المجتمع.

رواية «عازفة البيانو» البطلة (إريكا) مُعلّمة بيانو عاشت تحت سيطرة أمِّها و مستسلمة لسُلطتها، تمرُّ حياتها بصفة آلية و بداخلها بركان على أهبة الاستعداد

لكـي ينفجـر، وصلـتْ إلى مرحلـة تعيسـة في حياتهـا، و حاولـتْ إدراك مـا فاتهـا حتـى في خريـف العمـر، هـا هـي في عاصمـة الأنـس «فيينـا» مَهْـد موسـيقى العباقـرة، لكـن الكاتبـة تجعلنـا نسـمع أنغامًـا شـاذّة تنسـاب إلينـا مـن ظلمـة بعيـدة مـن مَهْـد الموسـيقى الخالـدة.

ألفريدي يلينيك